"المدرسة أخلاق وعلم وعمل"
المدرسة التونسية بين الراهن المأمول والواقع المعيش

الباحث: يوسف بن صالح **الباحثة: منية بن عياد**
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس
(وحدة البحث التنمية والمحيط الاجتماعي

تاريخ الاستلام: 2020-10-19 **تاريخ القبول**: 2020-12-21

ملخص: يسائل العنوان إشكالية جدّ مثيرة للجدل، وهي وضعية مؤسسة تربوية وتعليمية تحمل شعارات تستوفي قيمتها في الأصل وهي قيمة الاخلاق والعلم والعمل، شعار واحد لجميع المدارس الابتدائية والثانوية. إلا ان الواقع يكشف عن ظواهر انومية عكس حقيقة الشعار، حيث يطغى على المشهد التربوي ظواهر تزيد من تحديات المدرسة التونسية وهي كل من الفشل الدراسي والعنف المتنامي بأنواعه والادمان والتراجع في المكاسب المعرفية واللغوية والالتزامات الأخلاقية، ويعزى هذا التناقض لعدة عوامل منها العامل الداخلي المتعلق بالمؤسسة التربوية ومنها ما أفرزته العولمة من سياسات تربوية مسقطة ومن ظواهر اجتماعية أثّرت في المدرسة العمومية.

الكلمات المفاتيح: المدرسة، الاخلاق، العلم، العمل، الشعار.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

Summary:

The title is very problematic and controversial, namely the status of an educational institution with slogans that meet its original value, the value of morality, science and work, is one slogan for all primary and secondary schools. However, the reality reveals the phenomena of anadocy contrary to the reality of the slogan, where the educational scene is dominated by phenomena that increase the challenges of the Tunisian school, namely, the educational failure and the growing violence of its kind and addiction and the decline in cognitive and linguistic gains and ethical obligations, and this contradiction is attributed to several factors, including the internal factor related to the educational institution, including the resulting educational policies and social phenomena that have affected the public school.

Keywords: school, ethics, science, work, logo

مقدمة

إن نهضة الشعوب وتقدمها موكول بالأساس إلى المدرسة ومخرجاتها والرسائل التي تقدمها والرهانات التي من اجلها تشتغل. كما أن انحطاط الشعوب وتبعيتها وتأخرها راجع بالأساس إلى غياب المدرسة وبرامجها ومخرجاتها كمؤسسة. ومن منطلق الأهمية هذا تطرح تساؤلات عن أنماط اشتغال هذه المؤسسة التربوية وأسباب النجاح عند البعض أو الفشل. فللمدرسة وظائف ثلاث ورهانات إذا ما تحققت إلا كانت معراج النهضة العلمية والفكرية

والاقتصادية. وان وقع التخلي عن هذه المبادئ الأساسية فان وجودها الاجتماعي يظل شكليا. هذه المبادئ وإن كانت بسيطة المظهر إلا أنّ لها أبعاد عميقة ولا نجاح إلا إذ استوفت قيمة هذه المبادئ، وهي الأخلاق والعلم والعمل، وهو الشعار ذو البعد الكوني الموكول للمدرسة أن تتقلده وتعمل من أجله.

كما ان هذه الشعارات لا تتحقق إلا عبر أرضيات ملائمة وبيئة حاضنة لمضامين ورسائل الشعار، فالأخلاق والعلم والعمل هي برامج ورسالة المدرسة وهي المستوفية لشروط المؤسسة التربوية وتتحقق عندما تكون مختلف عناصر المنظومة التربوية من داخل المدرسة ومن محيطها الاجتماعي على أتّم الاستعداد.

ونظرا لأهمية المسالة وما يشكله موضوع التعليم من مكانة بارزة في عملية التنشئة الشاملة للمجتمع والتي توكد على ضرورة القيام بوقفة صريحة لمعرفة ما يدور في مدارسنا، والبحث في حقيقة ما ان كانت الحياة المدرسية قد رسمت توافقا بين الأهداف والشعارات من ناحية وما وقع تجسيده في الواقع كممارسات. ارتأينا القيام بهذه الدراسة، باحثين عن مضمون هذه الشعارات ومدى ارتباطها بواقع المدرسة التونسية. وذلك عن طريق الخوض في الإشكالية التالية: ما هو مضمون شعارات المدرسة التونسية أخلاق، علم وعمل؟ وهل ان المدرسة التونسية قد استوفت هذه الشروط والمبادئ أم أن الشعار المكتوب على جدران المدارس وفي اللافتات ليس إلا مجرد شعارات شكلية لا انعكاس لها على مستوى الممارسة؟ وما أسباب هذا التناقضات ان وجدت؟

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في النظر في العلاقة بين ما هو منشود وما هو موجود في المدرسة التونسية، بين شعارات تبدو مثالية في جوهرها تسعى لتحقيق القيم الثلاث في المؤسسة التربوية وهي كل من الأخلاق والعلم والعمل، وبين واقع مشحون بالسلبية القيمية والتراجع المعرفي وقلة المسؤولية. فالغاية من هذه المحاولة هي الكشف عن الحلقة الفاصلة بين ما تحمله الشعارات من رهانات وبين ما يحتوي عليه الواقع التربوي من انوميات.

أهداف الدراسة: هناك أهداف تبدو واضحة تفرضها طبيعة العنوان بحدّ ذاته، حيث نحاول تحسس مدى التوافق والتشخيص لمضامين الشعارات المخطوطة على جدار كل مدرسة، أي النظر فيما هو حاصل من مضامين الشعار. وان كان هناك خلل في تطبيق هذه الشعارات فمطلوب علينا النظر في جملة العوائق التي تحول دون تجسيد لمضامين تبدو شرط قوام كل مؤسسة تربوية.

1- مفاهيم الدراسة

الشعار: هو عبارةٌ عن صورةٍ أو رسمةٍ بصريةٍ إيضاحيةٍ، وهو الوجه المحدد الذي يتمّ من خلاله التعرف على شخصٍ ما أو مؤسسةٍ أو شركة أو منتج محدد، أو حتّى دولة، ويتكون الشعار من رمزٍ أو اسمٍ، أو حروفٍ مختصرة، أو رسمٍ تعبيري، ومن الممكن أن يجمع بين شكلين كالجمع بين الحروف والرموز، وقد يكون للشعار لوناً واحداً، أو أكثر من لون، أو باللون الأبيض والأسود، وليس من الضروري ان يعبر الشعار عن مؤسسة او حتى أهدافها[1].

المدرسة: يرجع أصل كلمة مدرسة école إلى الأصل اليوناني schole والذي يقصد به وقت الفراغ الذي يقضيه الناس مع زملائهم أو لتثقيف الذهن[2].ويعرف

فرديناند بويسون Buisson Ferdinand المدرسة بأنها: مؤسسة اجتماعية ضرورية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين العائلة والدولة من أجل إعداد الأجيال الجديدة، ودمجها في إطار الحياة الاجتماعية[3]. ويمكن اذن ان نعرف المدرسة هي مؤسسة تعليمية رسمية اوجدها المجتمع من اجل اعداد افراد الجيل وتعليمهم شتى أنواع العلوم في إطار معين من البرامج والمناهج التعليمية، وتنشئة الطفل على حبّ العلم والتعلّم. وهي كما يراها شيبمان شبكة من المراكز والادوار يقوم بها المعلمون والتلاميذ وعن طريقها يتم اكتساب التي تحدد لهم ادوارهم في الحياة الاجتماعية[4].

الاخلاق: الأخلاق في اللغة جمعٌ، ومفردها الخُلق، وتطلق على مجموعة الصفات النفسيّة للإنسان وأعماله التي توصف بأنّها حسنةٌ أو قبيحة[5]، اما اصطلاحا فعرف الجرجاني الخلق بأنَّه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر ورويَة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت البيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا[6]. وعرفت الأخلاق أيضا بانها الطبع والسجية وأنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الانسان ومن ثم يقدم عليه او يحجم عنه.

العلم: العلم لغة بأنّه المناقض للجهل، فهو إدراك ومعرفة الأشياء بناءً على الهيئة التي عليها إدراكاً تاماً وجازماً،

أما اصطلاحا يعرف العلمُ بأنّه المعرفة المضادّة للجهل، كما يرى بعض العلماء والمفكّرين أنّ العلم واضح أكثر من تعريفه[7]، كما يعرف العلم بأنه نسق المعارف

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

العلمية المتراكمة، أو مجموعة المبادئ والقواعد التي تشرح بعض الظواهر والعلاقات القائمة بينها[8].

العمل: العمل في اللغة هو الفعل بقصد. وعمل عملا، صنع ومهن[9]. ويرى "هنري أرفون" العمل على أنه الفعل الذي يتناول به الإنسان المادة[10]. ويعرف العمل كذلك بانه النشاط الواعي والهادف، العضلي أو الفكري، والمبذول في عملية الإنتاج، أي استعمال الأدوات لتحويل مادة العمل في عملية الإنتاج المادية أو المعنوية[11].

I. الراهن المأمول

1-المدرسة أخلاق

ينطلق الشعار بتعريف المدرسة على أنها أخلاق أولا، وهي قيمة القيم لذا تراهن المدرسة أولا على جعل الفعل الأخلاقي حقيقة كل تلميذ، وتلك هي التربية الاجتماعية أن يكون التلميذ يسير على خطى القيم الاجتماعية والتي هي بنيه ذهنية وثقافية ضاغطة بالمعنى الدوركايمي[12] وان يتجرد أقصى ما يمكن من العدوانية وان يكون السلوك اجتماعي صرف. فالمدرسة أخلاق أو لا تكون. وهذا الفعل الأخلاقي ليس حكرا على التلميذ بل هو مسؤولية كل منخرط في المنظومة من تلميذ ومربين وإداريين وعملة وأولياء. ولعل تعريف دوركايم للتربية دليل على مقاصد التربية حيث يقول أن التربية هي الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال الصغيرة التي لم تصبح بعد ذلك ناضجة للحياة الاجتماعية، وموضوعها إثارة وتنمية عدد من الاستعدادات الجسدية والفكرية والأخلاقية عند الطفل، والتي يتطلبها المجتمع السياسي في مجمله والوسط الخاص الذي يوجه إليه.[13] فالكل ملزم بالتواصل

الأخلاقي المتمثل في الاحترام وعدم التطاول وحسن الكلام وحسن المظهر والامتثال لنداء الواجب. فواجب التلميذ الطاعة واحترام المربي ومواعيد الدخول والخروج وحماية أثاث المدرسة، وعدم العبث به، وصدق الكلام، وعدم إيذاء الغير من الزملاء، والتعاون معهم، والنظافة والعمل، وفق ما تمليه عليه المدرسة من قوانين داخلية. "فالتربية كما يبيّن دوركايم في عدة محاور من أعماله هي الوسيلة التي يجدد المجتمع عن طريقها وباستمرار شروط حياته الخاصة، بحيث تكمن وظيفتها الأساسية على حدّ رأيه في تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية المنهجية للأجيال الجديدة"[14]. وفي دراسته للمواقف التي ينبغي اتخاذها لتربية أخلاق التلميذ يرى دوركايم ضرورة ملائمة التعليم والبنية العقلية والذهنية عند الأطفال أي احترام متغيرات السن والجنس عند الأبناء بحيث يقول أن "الواجب هو الخلق في أمره ونهييه" كما يعتبر دوركايم أن الإنسان الذي يجب أن تحققه التربية هو الإنسان كما يريده المجتمع وليس الإنسان كما خلقته الطبيعة.

أما من ناحية المربي فمن واجبه احترام التلاميذ وعدم التمييز وحسن المظهر والنظافة وحسن المخاطبة والتبليغ والتفسير، ومساعدة المتعثرين، واحترام التوقيت، وأداء الواجب داخل أسوار المدرسة وخارجها، وعدم إيذاء الغير من الزملاء، بل إن مسؤولية المربي الأخلاقية مضاعفة لأنه قدوة التلاميذ وأنّ له المطالبة بقيمة لا يلتزم بها.

ومن واجب الإدارة بما فيها من إطارات وموظفين سوى الإحاطة بالتلاميذ من الناحية النفسية والاجتماعية ومراعاة الفوارق بين التلاميذ، وحسن الإصغاء إليهم واحترام المربين، وتوفير الخدمة اللازمة لهم، والحرص على نجاح المؤسسة بنجاح

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

أبناءها. فالمدرسة كما يراها دوركايم عالما مصغرا عن المجتمع الذي توجد فيه، لأن المجتمع يكون في داخل الإنسان كائنا أخر جديد هو الكائن الاجتماعي[15].

كما أن من واجب العائلات تقدير جهد المربين والإدارة ومساعدتهم على حسن اشتغال المؤسسة التربوية وذلك بإسهاماتهم في تحقيق الفعل التربوي في الأبناء، من حسن الخلق بما تحمله الكلمة من معنى ودلالة. ويكون ذلك طبقا لما يمليه الضمير الأخلاقي الذي يستطيع أن ينجح في الوصول إلى غاية ما ينشده[16].

كما يمكن تلخيص مواقف دوركايم في التربية في أربع مواقف وهي أن كل نظام تربوي عبارة عن مؤسسة اجتماعية، فمن خلال التحليل التاريخي لهذا النظام يتبين أن البنية الاجتماعية هي المحددة والمسؤولة عن تأسيسه واستمراريته وتغيره ومسؤولة عن مضامينه وأشكاله.

– إن الغاية التي يهدف إليها النظام التربوي هي التنشئة والتي تتحدد تخصصاتها من خلال البنية الاجتماعية كذلك.

– إن هذا التلازم بين البنية الاجتماعية والنظام التربوي ليس مطلقا، لوجود نوع من الاستقلالية النسبية الذاتية لهذا النظام.

– يعتبر هذا النظام التربوي أداة في الصراع الإيديولوجي والتي تختلف فعاليته تبعا للفترات واللحظات التاريخية.

– يرى دوركايم أيضا أن الأشياء الأخلاقية هي التي تكون الجوهر في الإنسان لأن التفوق الأخلاقي للمجتمع على الفرد هو الذي يقدم خاصية كاملة سليمة ومقبولة. وبالتالي فإن المراقبة الاجتماعية للأفراد حسب دوركايم تعتبر أمر ضروريا حتى لا ينهار

المجتمع من جراء وفرة الحرية لأن المجتمع السليم لا يمكن أن يتحقق تفتحه ونموه إلا بالاندماج ضمن بيئة تتفوق وتعلو عليه.

نلاحظ أن الفعل الأخلاقي لا يستقيم إلا عبر الامتثال للواجب، أي الأخلاق من أجل الأخلاق على حد اعتبار "كانط" فإذا كانت هناك أخلاق فإنه بالإمكان العمل على تحصيل الفعل العلمي وتحقيق المعرفة المطلوبة في التلاميذ، وإذا انعدم الفعل الأخلاقي فإن المعرفة تظل منقوصة ويغلب الجهل العلم وترتفع نسب الفشل والتسرب الدراسي منذ الصغر. وبالتالي تتعطل المؤسسة التربوية ويتأثر السلم الاجتماعي.

يقول دوركايم أن التحولات العميقة التي شهدتها المجتمعات الإنسانية القديمة والتي تجتاح المجتمعات المعاصرة تقتضي بالضرورة وجود تحولات عميقة مكافئة لها في إطار التربية القومية[17]، ما نود التأكيد عليه في خاتمة هذا العنصر أن هناك تحولات كبرى يواجهها المجتمع التونسي والتي من المفترض أن يكون لها انعكاس على الفعل التربوي، وبالتالي لا بد من رسم ملامح انتربولوجيا أخلاقية تربوية جديدة تستوعب عبر برامج تربوية أخلاقية جديدة جملة متغيرات الظرف الراهن، و تتم الأخلاق عبر التنشئة الاجتماعية والمدرسة من أبرز المؤسسات الحاضنة لعملية التنشئة، فالتعود على اللغة الاجتماعية والقوانين الاجتماعية يكون حتما عبر المدرسة لأن العائلة وفي هذا الظرف الراهن تحديدا التي أعلنت استقالالها في الفعل التربوي، موكلة المحاضن والمدارس المسؤولية التامة ، أصبح لا يراهن عليها حتى تكسب الأبناء الفعل الأخلاقي. إذا كانت المدرسة غير معنية بالقيم فأي مؤسسة تتقلد هذه المسؤولية حينئذ، يمكن الحديث عن حالة بدائية يكون قانون

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

الغاب هو السائد كما بين توماس هوبز، لذا فان أخلاق المجتمع مهما كان نوعها فإن للمدرسة القسط الأوفر من المسؤولية.

2-المدرسة علم

تنتج المدرس العلم وتبلغه للناشئة، ويكون العلم في هذا الشعار في المرتبة الثانية دليل على انه لا علم إلا بالأخلاق. فالمدرسة مؤسسة اجتماعية وظيفتها إنتاج المعارف للطلاب وتطويرها، ولا يمكن تصور مجتمع بلا مدرسة، فكل تحول اجتماعي أو ثقافي أو مهما كان نوعه يكون مصدره المدرسة، وكل تخلّف أو ركود حضاري فهو نتيجة فقدان المدرسة لوظيفتها المعرفية. فليس البلد المتخلف سوى البلد المتخلف معرفيا، فشرط بقاء المجتمعات وتحقيق السّلم الاجتماعي يكون من العلم باعتباره مهذّبا للعقول ومؤسسا للإنسانية في الإنسان. وعندما نتحدث عن المدرسة على اعتبار أنها علم فانه لا نقصد علم بعينه بقدر ما نتحدث عن جملة معارف وخبرات ودروس وعبر وقوانين وآداب اجتماعية وثقافات وحضارات وتاريخ وتكنولوجيات وفلسفة وعادات وتقاليد وطقوس وشعر وقواعد وحساب وفيزياء وعلوم أحياء وغيرها من المعارف التي لا يمكن إدراكها إلا داخل أسوار المدرسة عن طريق مربي. فما تكسبه المدرسة للناشئة هو جملة من المبادئ من أهمها إعمال الفكر تجاه وضعيّات معقّدة من الحياة المعيشة، وإنماء القدرة على الفهم والتحليل والنّقاش الحرّ. وتنمية الكفاءات والمهارات والقدرات لاكتساب المعارف لاكتساب القدرة على بعث المشاريع، وتسهم أيضا في مساعدة التلميذ على النموّ العقلي والنفسي والجسماني، وتفجير الطاقات الإبداعيّة واكتساب المواهب في عدّة مجالات واختصاصات.

إن المجتمع مجموعة من المؤسسات ومجموعة قوانين وظواهر متشابكة ومعقدة لا يمكن إدراكها وفهم معانيها وبلوغ الحقائق عن طريق الدربة والتعلم والمثابرة والجدية في التعلّم، اعتقادا انه لا مناص من إدراك حقائق الأمور إلا وفق قواعد ومناهج ووسائل وخبرات من المدرسة. بحيث تسعى المدرسة لإنتاج مجتمع الإنتاج بدل مجتمع الاستهلاك وتطوره سلوكيا ومعرفيا والتفكير العميق بدل التسليم والتفكير السطحي والبذل والتعويل على الذات بدل الارتكان والتبعية، فهي ورشة دائمة الاشتغال إنها عقل المجتمع. كما تعمل على تنشئة الفرد على احترام القيم الجماعيّة وقواعد العيش المشترك معا والتربية على قيمة المواطنة والسلوك الحضاري.

كما أن شعار المدرسة على أنها علم دليل أيضا على أنها فضاء للجميع وليست حكرا على فئة دون أخرى، وليست فضاء التجاذب أو الصراعات بقدر ما هو مجال للتعارف والتعاون والتساوي بين الجميع لتحقيق التفاعل بين المجموعات. كما أنها فرصة تحقيق التساوي في الفرص والحدّ من التفاوت الطبقي، فهي الفضاء الذي تتنافى فيه جميع أصناف التمييز، تهيئ الطالب على المستوى المعرفي ويدرك كيفية اندماجه الاجتماعي ويتزود بما يحتاجه في حياته المهنية دون أي اعتبار عرقي أو عقائدي أو مكانة اجتماعية وتلك هي المؤسسة الأكاديمية وفلسفتها الايتيقية.

3-المدرسة عمل

المدرسة مرآة المجتمع، فطبيعة الأفعال والثقافة السلوكية والممارسات اليومية تعكس برامج المدرسة ومقاصدها ورهاناتها. كما أن المدرسة ليست مؤسسة لذاتها ومنغلقة على ذاتها، وإنما هي مؤسسة اجتماعية جعلت للتوعية والتثقيف والتهذيب والتحسين والتنمية والتربية وحسن التفاعل والتواصل وإلا انعدمت رسالتها. وعلى

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

هذا الاعتبار ما هو مطلوب من المدرسة هو الصورة الاجتماعية وبصمتها وأثارها في الفاعلين الاجتماعيين. كما أن صورة المدرسة ترسم وتبدو جلية من خلال برامج التنشئة الاجتماعية التي تهدف إلى تفعيلها اجتماعيا. فروح المبادرة والمسؤولية وحبّ العمل والإيمان بقيمة العمل وأهدافه وأهميته ومقاصده كلها مبادئ ومعايير وشعارات ترسم من داخل أسوار المدرسة.

فمن أعمال المدرسة أيضا أنها تلبي حاجات المجتمع المحلي المتغيرة تبعا للتغييرات السريعة والمتلاحقة التي شملت جميع مظاهر الحياة: تقنيا، واجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا وتربويا، كما تنسق المدرسة دورها مع مختلف المؤسسات التي توكل على نفسها مهمة رعاية الأطفال مثل الأسرة، المؤسسات الاجتماعية الدينية، والنشاطات الترفيهية، وسبل الاتصال الجماعي من خلال الصحف والمجلات والنشرات والإذاعة والتلفاز والانترنت.

تسهم المدرسة ايضا في تحسين الأوضاع الاجتماعية، ومعالجة مشكلاته ومساعدته على التطوير؛ فتحقق بذلك أهدافا كثيرة منها: نمو الوعي الاجتماعي، تحسين الصلة والتلاحم بين المدرسة والمجتمع، توجيه التربية وجهة عملية تتصل بواقع الحياة، تعويد التلاميذ على تطبيق المعارف والمهارات التي يتلقونها في المدرسة. مشاركة المجتمع في عملية تخطيط البرامج التربوية ودعمها وكلها تندرج في إطار تحقيق السلّم الاجتماعية.

ومن الأولويات الرئيسة في الدول المتقدمة اليوم الحاجة إلى ربط التعليم بالتطور الاجتماعي والاقتصادي، لذا ينبغي أن تكون المدرسة عاملا رئيسا للتغيير الاجتماعي. ومن هنا نرى أن المدرسة مؤسسة اجتماعية قامت لخدمة المجتمع

وتحقيق أغراضه في تربية النشء، ويعتمد نجاحها في تحقيق رسالتها على مدى ارتباطها العضوي بالمجتمع الذي توجد فيه.

إن الدلالة القوية لهذا الاتصال الوثيق بين المدرسة والمجتمع يتمثل في كون المدرسة تقوم وتمارس دورها الفاعل من خلال مضمون اجتماعي وثقافي؛ لذلك فإن موقع المدرسة بين قوى المجتمع يجعلها تعمل على توثيق الصلة بينها وبين مجتمعها، فتنظم الدراسات حول المشكلات الرئيسة في حياة المجتمع، وتجعل مرافقها مراكز لنشاط الأهالي في جميع الأعمار، وتشرك الأهالي في رسم سياستها وتخطيط برامجها، وتأخذ مركز القيادة في المجتمع في تنسيق برامجه التعليمية وتثقيفه وتوعيته. إن المدرسة الفاعلة هي مدرسة المجتمع التي تسعى للنهوض به.

كان ينظر إلى المدرسة على أنها مؤسسة مستقلة في غير حاجة للاتصال بالبيت أو بالمجتمع المحلي، ثمّ تغير هذا الاعتقاد وتطورت العلاقة بين المدرسة والأسرة والمجتمع، ولم تعد عزلة المدرسة تساير العصر الحاضر (عصر الاتصال) ذلك أن هذه العزلة ضد طبيعة العملية التربوية وخصائصها، ولا يمكن وضع حدّ فاصل بين المدرسة التي تؤهل الطلاب ليكونوا مواطنين يسايرون نهضة الوطن وأفكاره وبين المجتمع، فالمدرسة جزء من هذا المجتمع، بل هي مجتمع كامل في صورة مصغرة. لذلك يجب أن تهيئ المدرسة لأفرادها بيئة ونظما تتفق والمجتمع الخارجي وتتطور معه، حتى لا يضطرب الطالب بين حياته في المدرسة وخارجها، أو يشعر حين يخرج للحياة العملية بأنه غريب، فيعيش في عزلة عن حياة المجتمع السائد .

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

فالمدرسة إذا ليست نظاما اجتماعيا معزولا، بل هي جزء من نظام اجتماعي أكبر هو المجتمع، وهي بذلك تمثل علاقة متبادلة مع هذا النظام الكبير. إذ تكون المدرسة مسؤولة عن إصلاح المجتمع الإنساني والحياة الإنسانية والمستوى الاجتماعي.

ان المدرسة إذا اريد لها ان تكون مؤسسة منتجة ومسهمة في النمو بأشكاله، لا بد لها من ان تكون لها ايتيقا تسير على خطاها، والا فلا فائدة منتظرة منها. هذه الايتيق ان شئنا تتمثل في صورة نموذجية تجمع في مقاصدها كبرى الأهداف. هذه الأهداف والمقاصد تستوجب بدورها أرضية ملائمة لتتحقق. فالمدرسة تهدف لتحقيق برامج دولة بأكملها، لذا فالمطلوب هو الأدوات اللوجستية والبرامج وحسن التسيير وحسن التنظيم والانضباط وتطبيق القانون، والتحلي بروح المسؤلية المشتركة بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين. فهي مؤسسة بنيوية تتأثر سريعا بالحدّ الأدنى من العوائق وتفقد البوصلة في اختلال أحد عناصرها ومكوناتها سواء في البرامج أو القانون أو سلوك التلميذ أو مسؤولية الاولياء. وبالتالي سوف نرصد الموجود بالمدرسة التونسية وواقعها الراهن وما به من تحديات وتناقضات.

II. الواقع الموجود

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية التي توفر الظروف لنمو الطفل نفسيا وجسميا وعقليا وانفعاليا وبذلك تكون المدرسة بيئة خاصة قد اقتطعناها من البيئة الاجتماعية العامة حتى نسيطر على نوع التعليم وبذلك نسيطر على نوع النشء الذي نرجوه لمجتمع من المجتمعات وبذلك لا ندع للبيئات الاجتماعية بصفة عامة أن تقوم بتربية النشء تربية تعتمد على الصدفة[18]. وكما أشرنا في البداية من بين وظائف المدرسة المحورية نجد الوظيفة التنشئوية الاجتماعية والتي تسعى المدرسة من خلالها

لإنتاج وإعادة إنتاج القيم الاجتماعية والمحافظة عليها وضمان استمراريتها. وبشكل خاص تربية أفراد المجتمع على مجموعة من المعايير والمبادئ والأخلاقيات الموجهة للممارسات والسلوك والاتجاهات والقيم–الوظيفة التثقيفية والتي تعنى بنقل المعرفة والقيم الإنسانية والثقافية والفكرية في صياغتها المعيارية والنموذجية.[19]

وتقوم المدرسة من خلال الأدوار الفاعلة لها بترسيخ مختلف القيم عبر وسائل تربوية من مقررات وكتب مدرسية وتظاهرات ثقافية. هذه القيم تعرف كمجموعة من المبادئ والتمثلات السلوكية والأخلاقية في مجتمع معين. وتحدد معاملات الفرد وأفعاله وسلوكه، وتمثل القيم في الحقل التربوي إنزيمات التعلم المجدد، الهدف منها إعداد التلميذ للإدماج الاجتماعي وتمكينه على التعايش ضمن التعدد في مجتمع ديمقراطي منفتح على العالم وعلى المشاركة في العمل الجماعي لأجل بناء مجتمع عادل ومنصف استنادا إلى قيمتي المواطنة وحقوق الإنسان ضمن الإدماج الاجتماعي.

لكن ما نلاحظه هو تناقض كبير بين ما تدعو إليه المقررات والكتب المدرسية وبين الواقع الملاحظ في الفضاء المدرسي وأصبح الحديث عن الأزمة التي تعاني منها المؤسسات التربوية حيث فقدت هذه المؤسسات دورها الريادي في إحياء معاني الحرية والعزة والكرامة والرجولة ومقاومة الظلم والفساد والانعتاق[20]. وأصبحت المؤسسات تنتج أجيالا بائسة تنظر للمستقبل بسوداوية قاتلة أي أجيال مستهلكة لا تنتج فاقدة لمعنى المواطنة[21].

فمثلا تعاني مختلف المؤسسات التربوية التونسية من تفشي ظاهرة العنف المدرسي بمختلف مظاهره، وكشفت دراسة للمعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية حول

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

العنف الحضري بتونس صادرة في شهر أكتوبر 2017، تنامي ظاهرة العنف اللفظي والجسدي داخل المؤسسات التربوية حيث وصلت لحدود غير مقبولة. بلغ عدد حالات العنف المسجلة بالمرحلة الإعدادية والتعليم الثانوي خلال 3 سنوات من 2012 إلى حدود 2015، 44.187 حالة في الإعدادي و23.225 في الثانوي وفق ما اوردته موزاييك.

السنة الدراسية	عدد التلاميذ(اعدادي + ثانوي)	عدد حالات العنف المسجلة			من أهم الأسباب
		اعدادي	ثانوي	المجموع	النسبة	
2013-2012	921464	7861	8268	16129	1.75	- التعرض للإستفزاز - تناول الكحول - تناول مادة مخدرة - التحرش الجنسي - السرقة - الغش في الامتحان - .....
2014-2013	899891	19665	9851	29516	3.28	
2015-2014	888858	16661	5106	21767	2.45	
المجموع	2710213	44187	23225	67412	2.49	

المصدر: مفزع بالأرقام، تنامي ظاهرة العنف في المؤسسات التربوية – https://ar.webmanagercenter.com/2017/11/14/

وتواصل ارتفاع عدد حالات العنف داخل المؤسسات التربوية خلال سنة 2017، سواء تلك الصادرة عن التلامذة أو الأساتذة أو من الإداريين وبقية الأسرة التربوية حيث تمّ في الغرض تسجيل 14792 حالة عنف مادي صادرة عن التلميذ و7392 حالة صادرة عن الأستاذ و4812 حالات صادرة عن بقية الأسرة التربوية. وفيما يتعلق بحالات العنف اللفظي، تم تسجيل 5552 حالة في صفوف التلاميذ و920 حالة في صفوف الأساتذة و815 من طرف بقية الأسرة التربوية[22]. كما يعاني القطاع العمومي في تونس من ظاهرة الانقطاع المدرسي، حيث سجلت وزارة

التربية ان 280 تلميذا ينقطعون يوميا من الدراسة بشكل يومي مكبدة خسائر للدولة قرابة 1135مليون دينار ويرجع هذا الانقطاع خاصة الى الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها خاصة الاسر المهمشة اقتصاديا التي لم تعد تقتنع ان التعليم وسيلة لحياة أفضل بل تنظر اليه انه مصنع لإنتاج جيل من العاطلين عن الشغل[23].

أيضا نجد ظاهرة الغش في الامتحانات المتفشية في صفوف التلاميذ كظاهرة سلبية لها تأثيرات على المنظومة التعليمية وتخل بأهدافها وتمثل تزييف وتحريف لنتائج التلميذ في الامتحانات المدرسية مما ينعكس على جودة التعليم والارتقاء به وتخرَج افراد غير مؤهلين وناقصي كفاءة. وتعتبر من أكثر المشاكل التي يعاني منها المعلمون ترتبط بسلوكيات سلبية ولها انعكاس على المنظومة القيمية. فالغش فالامتحانات هو خيانة للنفس وخيانة للمعلم الذي يراقب قاعة الامتحان، وهو من ناحية أخرى سرقة لجهد شخص آخر، والحصول على امتيازات غير مشروعة، وكأي تصرف سلبي، يتبع الغش في الامتحان تصرفات سلبية أخرى، حيث يضطّر صاحبه بطبيعة الحال إلى الكذب والتملص من الاتهام إن كشفه المعلم، ولذلك فالغش يجمع أسوأ الصفات معا[24]. وترجع أسباب هذه الظاهرة الى عدة عوامل:

_طريقة التدريس التي تركز على التلقين والتركيز على اختبار المتعلمين على الزاد المعرفي واغفال مستويات التفكير العليا من نقد وتحليل وتطبيق ...

-ضعف الإجراءات القانونية بالرغم من صدور قوانين الزاجرة للغش الا انَ تفعيلها يبقى زجريا.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

-التنشئة الاسرية السيئة وعدم مراقبة الأبناء لأبنائهم واهتمامهم فقط بانتقالهم من مستوى لآخر بغض النظر عن اداءه التعليمي.

-ما تنشره مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفيسبوك من طرق واشكال عدَة للغش.

إضافة الى ارتفاع نسب تعاطي المخدرات والتدخين والتحرّش والاتّسام باللامبالاة والسلبية وتفشي ظاهرة الانتحار في صفوف التلاميذ. وبالتالي نستنتج أن القيم الملقنة إلى التلاميذ تبقى بنسبة كبيرة منها، قيما ومبادئ نظرية عاطلة عن العمل، لا تترجم ميدانيا ولا تمارس واقعيا على مستوى المعاملات المدرسية والاجتماعية. هذه المفارقة بين المنشود والموجود أصبح يصيبنا بالدهشة والحيرة ويؤكد على ضرورة البحث في أسباب هذا التناقض بين القيم الملقنة والممارسات.

من أسباب هذه المفارقات نجد التحولات القيمية التي تشهدها المجتمعات والتي أدت إلى تغيرات البنى الاجتماعية والعلاقات بين الأفراد خاصة مع التحولات في أشكال التواصل في المجتمعات في نطاق ما يسمى بالمجتمع الشبكي. وأصبحت المجالات الافتراضية تصنع وتنتج وتعيد إنتاج القيم بشكل يؤثر على المؤسسات الاجتماعية التقليدية.

كما أن التلميذ يجد تناقضا بين مختلف العهود والمواثيق التي يتلقونها عن حقوق الطفل والملقنة عبر المقررات في الكتب المدرسية وما يلاحظه من سلوكات داخل الفضاء المدرسية، حيث يتلقى التلميذ دروسا عن قيم الصدق والعدل والتسامح ولكنه يجد عكس ذلك. فإذا انتقلنا إلى بعض المدارس نجد عجبا فيأتي رسام من خارج المدرسة ويرسم لوحة جميلة وعند حضور المسؤولين وأولياء الأمور يقول لهم إن

الطالب هو الذي رسم هذه الرسم، ويقف المعلم الذي يعلم طلابه الصدق والإخلاص في العمل وتحمل المسؤولية نجده يخلص في التدريس الخصوصي، ويأتي بالمذكرات والأوراق المهمة ويدربهم ويعلمهم ويبذل قصارى جهده حتى يوصلهم للنجاح ولكن إذا تأملت تدرسيه داخل الفصل يكون بعيدا كل البعد عن هذه القيم من إخلاص وتحمل للمسؤولية[25].

هذه التناقضات التي يلاحظها التلميذ تجعله يصل إلى حدّ الشكّ في قيمه، وخاصة مع المرحلة الحساسة التي يمرّ بها وتأثره بمختلف الظواهر في محيطه، وبالتالي يتأثّر بمختلف السلوكيات وخاصة منها السلبية والتي تغدو جميعا الفضاءات الاجتماعية والشارع والملاعب وما يسمعونه من ألفاظ مشينة تصم الأذان وممارسات عنيفة. وبحكم أن المؤسسات التعليمية تمثل جزء مصغرا من المجتمع وليست منفصلة عن ثقافته وقيمه فإن الأزمة التي تمر بها المجتمعات العربية يقع إنتاجها في المؤسسات التعليمية فأصبح الحديث عن هشاشة الثقة بين المجتمع ومؤسسات العلم والمعرفة والوقائع تشهد أن نظرة المجتمعات العربية إلى مؤسسات المعرفة لم تأخذ مكانها الرفيع فهي (المؤسسات) ينظر على أنها سجنا كبيرا" وبهذا نلاحظ كيف يتم التعامل مع هذه المؤسسات بعنف وتخريب أو بمبالاة في أحسن الأحوال وكيف ينظر إليها على أنها مؤسسات نفعية يتم التعامل معها بانتهازية خطيرة إذ لا تعدو كونها تمنح بعض الأفراد المحظوظين شهادات تؤهلهم للدخول في عالم الوظيفة[26]

كما أن سيطرة المنحى الكمي على البرامج التعليمية وكثرة المواد التي يدرسها التلميذ في السنة الواحدة، أدى الى تدهور مكتسبات التلميذ المعرفية وشعوره بالإرهاق وحتى يصل به الامر الى الشعور بكرهها إضافة إلى أن المناهج الراهنة لا

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

تنمي لدى الطلاب الوعي بواقع مجتمعهم وتكاد تخلو من الأنشطة والمواقف التعليمية التي يدرك بها الطلاب ماهية المواطنة ويمارسون فيها معاني الديموقراطية[27]، وتبقى هذه المناهج رثة غير ملائمة لمتطلبات سوق الشغل، عاجزة عن انتاج كفاءات مبدعة تلائم ما تفرضه العولمة من تحديات

الخاتمة

نستخلص من خلال هذه المحاولة التباعد أو التناقض بين شعارات تربوية تبدو طوباوية لأنها تحمل مضامين ما يجب أن يكون وبين ما هو كائن في واقع مشحون بممارسات لا تليق بمؤسسة اجتماعية. بين شعارات لا تختلف كثيرا عن مبادئ القيم الثلاث في جمهورية افلاطون المثالية الحق والخير والجمال، وهي الشعارات المرفوع والمطلية على جدران كل المدارس الإعدادية والثانوية التونسية وهي " المدرسة أخلاق وعلم وعمل". إلا أنّ الموجود يبدو دون المنشود. ولعل المؤشرات التي أوردناها تكشف عن ذلك، وهي بمثابة المعيار ان شئنا لكي نثبت ما ان كانت الشعارات حقائق مرسومة أم شعارات وهمية. فارتفاع نسب الفشل والتسرب والرسوب والعنف المدرسي والغش والتحرش والادمان والنبرة عند التلاميذ وارتفاع نسب بطالة أصحاب الشهادات العليا وظهور الانوميا الاجتماعية في المدرسة كلها مؤشرات ومتغيرات دالة عن تناقض اجتماعي في منظومة تربوية. فالمقاربة تبدو نقدية في جزء منها لأن استمرارية الوضع التربوي بهذه الظواهر الانومية يترتب عنه العديد من الظواهر الأخرى السلبية والتي يمكن أن تمس السّلم الاجتماعي، ونوعية المخرجات ومزيد انهيار المنظومة التربوية العمومية بالإضافة الى التداعيات الاقتصادية الثقافية. وهذه العوامل الداخلية. أما العوامل الأخرى الخارجية وهي تحيل على

انعكاسات العولمة على المنظومة التربوية وخاصة العمومية بحيث أفرزت العولمة فلسفات تربوية تؤثر التعليم الخاص على التعليم العمومي، جعل العديد من الدول النامية تهتم بمعالجة الظواهر الانومية التربوية كأولوية، وظّلت هذه الظواهر عائقا أمام التفكير والتأسيس لمشروع مدرسة عمومية منصفة تتكافأ فيها الفرص وتسهم في عملية التنشئة الاجتماعية وتشع على المحيط الاجتماعي بمخرجات ماهرة وبارعة حتى يكون لها عميق الأثر على النمو ومجابهة التحديات.

المراجع

- احمد عليلوش، كيف تساهم كل من المدرسة والاسرة في تنشئة الافراد وتنمية المجتمع، مجلة علوم التربية، العدد، 24ا، لمغرب، فيفري ،.2005

– إميل دوركايم، التربية والمجتمع، ترجمة، على اسعد وطفة، دار معد للنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الخامسة، 1996.

–سعيد العلام، إصلاح منظومة التربية والتكوين الأسئلة المغيبة 2015.

– موسوعة الاخلاق الجزء الأول مقدمات في الاخلاق _الاحسان _الالفة اعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنيَة.

–عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة ط 9 ،2001.

– محمد لبيب النجاحي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1981.

–علي صلاح المدرسة المغربية وسؤال القيم– حركة التوحيد والإصلاح، الأربعاء 22 أكتوبر 2014.

– محمد بن صالح العيثمين كتابة العلم. مكتبة جرير 2003

- محمد الباقر حاج يعقوب، التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة، مجلة الإسلام في اسيا، العدد الرابع، ديسمبر 2011.

- المنجد في اللغة والأعلام، 2012 ،530

– ربى، ناصر المصري الشعراني، تعزيز التفكير في التعلم المدرسي، دار النهضة العربية.

– رشيد حرموني، المنظومات التربوية العربية بين مظاهر الأزمة وتحديات المستقبل مجلة عمران.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

- زري، حميد ناصر، مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية. الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والاعلام 1998.
- دادي عدون، اقتصاد مؤسسة. ط 2 الجزائر: دار المحمدية العامة.

المراجع الفرنسية

- Baudelot Alain, Sociologie de l'école, Durand, paris, 1981, P56.
- Emil Durkheim, Les règles de la méthode sociologique, Paris, Editions, Flammarion, 1980, p.109.
-Emil Durkheim, Education et sociologie,
- Vivianne Isambert Jamati, sociologie de l'école, In Maurice Debesse et Goston Mialaret, Traité des sciences pédagogiques, Aspects soucieux de de l'éducation, P. U. F., Paris, 1974

المراجع الالكترونية

-الاء جابر، مفهوم الشعار https://mawdoo3.com، 21 اكتوبر، 2018.
- محمد مروان، مفهوم الاخلاق، WWW mawdoo3.com 18-11-2018
- بلقاضي الجواد، المسجد عنوان الدعوة الجمعة 24 جانفي 2014 2014 www.aljamaa
- عبد الكريم الملا، التناقضات في حياة الشباب الشرق الثلاثاء 7-1-2014 الساعة 1 و30 www.al.sharq.com
- مفزع بالأرقام، تنامي ظاهرة العنف في المؤسسات التربوية https://ar.webmanagercenter.com /2017/11/14
-اسراء الربحي، ظاهرة الغش في الامتحانات 2019 www. Mawdoo3 .OM
- ارتفاع الانقطاع المدرسي، تفاقم التعليم العمومي في تونس https://alarab.co.uk 5_3_2019
.

الهوامش:

[1]– الاء جابر، مفهوم الشعار https://mawdoo3.com، 21 اكتوبر، 2018.

[2]- محمد عليلوش، كيف تساهم كل من المدرسة والاسرة في تنشئة الافراد وتنمية المجتمع، مجلة علوم التربية، العدد، 24ا، لمغرب، فيفري، 2005

3- Vivianne Isambert Jamati, sociologie de l'école, In Maurice Debesse et Goston Mialaret, Traité des sciences pédagogiques, Aspects soucieux de de l'éducation, P. U. F., Paris, 1974, P144.

[4] – Baudelot Alain, Sociologie de l'école, Durand, paris, 1981, P56.

[5]–محمد مروان، مفهوم الاخلاق، 2018-11-18WWW mawdoo3.com

[6]–موسوعة الاخلاق الجزء الأول مقدمات في الاخلاق _الاحسان _الالفة اعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنيّة.

[7]– محمد بن صالح العيثمين كتابة العلم، مكتبة جرير،2003، ص2.

[8]- محمد الباقر حاج يعقوب، التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة، مجلة الإسلام في اسيا، العدد الرابع، ديسمبر 2011، ص4

- [9] المنجد في اللغة والأعلام، 2012، ص530.

[10]- زري، حميد ناصر، مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية. الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والاعلام 1998ص 17.

[11]- دادي عدون، اقتصاد مؤسسة. ط 2 الجزائر: دار المحمدية العامة. ص 122.

[12]- Emil Durkheim, Les règles de la méthode sociologique, Paris, Editions, Flammarion, 1980, p.109.

[13] -Emil Durkheim, Education et sociologie, p.41.

[14]– إميل دوركايم، التربية والمجتمع، ترجمة، على اسعد وطفة، دار معد للنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الخامسة، 1996، ص7.

[15] المرجع نفسه، ص 11.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

[16]- المرجع نفسه، ص 125.

[17]- المرجع نفسه، ص 14.

[18]- محمد لبيب النجاحي، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1981 ص60

[19]-علي صلاح، المدرسة المغربية وسؤال القيم- حركة التوحيد والإصلاح، الأربعاء 22 أكتوبر 2014

[20]- بلقاضي الجواد، المسجد عنوان الدعوة الجمعة 24 جانفي 2014 2014 www.aljamaa

[21]-سعيد العلام، إصلاح منظومة التربية والتكوين الأسئلة المغيبة 2015 ص140

[22]- مفزع بالأرقام، تنامي ظاهرة العنف في المؤسسات التربوية - https://ar.webmanagercenter.com/2017/11/14

[23] ارتفاع الانقطاع المدرسي، تفاقم التعليم العمومي في تونس -https://alarab.co.uk 2019-3_5

[24]- اسراء الربحي، ظاهرة الغش في الامتحانات 2019 .OM .Mawdoo3 www

[25]- عبد الكريم الملا، التناقضات في حياة الشباب الشرق الثلاثاء 7-1-2014 الساعة 1 و30 www.al.sharq.com

[26]-رشيد حرموني، المنظومات التربوية العربية بين مظاهر الأزمة وتحديات المستقبل مجلة عمران، ص 83.

[27] - ربى، ناصر المصري الشعراني، تعزيز التفكير في التعلم المدرسي، دار النهضة العربية، ص24.